مَجلّة فصليّة محكّمة

تُعنى بعلوم كتاب نهج البلاغة
وبسيرة الإمام علي عليه السلام وفكره

تَصْدُرُ عَنِ

الأمانَة العامّة للعتبة الحسينيّة المقدّسة
مؤسّسة علوم نهج البلاغة

مُجازَةٌ من وِزارَةِ التَّعْليمِ العالي والبَحْثِ العِلْميّ
مُعْتَمَدةٌ لأغراضِ التَّرْقِيَةِ العِلْمِيّة

السنة الخامسة- العدد العاشر

شوال ١٤٤١هـ- حزيران ٢٠٢٠م

بناء الإنسان وتنمية الموارد البشرية
في فكر الإمام علي (عليه السلام)

Human Construct and Human Resources Development

In Imam Ali s (pbuh) thought

أ . م . د خميس غربي حسين

جامعة تكريت/ كلية الآداب

Asst. Prof. Dr. Khamis Gerby Hussein

Faculty of Arts Tikrit university

ملخص البحث

ينظر الإسلام إلى قضايا الإنسان بوصفها شبكة مترابطة لا انفصام لها، ومن ذلك علاقة الإنسان بربه وعلاقته بنفسه وعلاقته بأخيه الإنسان، وبكل أشكال الحياة الأخرى، ولما كان الإنسان هدفاً أسمى في تعاليم الإسلام نلحظ أن آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) تؤكد على هذا المنحنى، والإمام علي (عليه السلام) وراث الدوحة المحمدية ما انفك يؤكد هذا المنهج ويحث على تطبيقه قولاً وفعلاً. والتنمية البشرية في الإسلام مسألة تمس الحياة بشكل مباشر، وتؤثر في مجالاتها وأبعادها وتطورها؛ لأنها تعني التنظيم والتخطيط المبرمج، ولذا أصبح الاطلاع على رؤية الإمام علي (عليه السلام) في هذا الموضوع يشكل أهمية بالغة وملحة؛ لأنَّ المجتمعات الإسلامية لا تستطيع التخطيط لبناء منظومة فكرية حول بناء شخصية الإنسان الفعال المؤثر، وتنمية المجتمع على أسس من الأخلاق الفاضلة، من دون الرجوع إلى أعلام الفكر الإسلامي ومنهم الإمام علي (عليه السلام). إن المتتبع لسيرة الإمام علي (عليه السلام) وأقواله وأفعاله سيدرك بسهولة أن بناء الإنسان الذي هو حجر الأساس في تكوين المجتمع كان من أولويات اهتماماته، وكان (عليه السلام) يبغي من وراء ذلك تنمية الموارد البشرية من أجل بناء مجتمع متكامل، وبذلك يعم النفع والخير للناس جميعاً. ومما لا شك فيه أنَّ المؤلفات والكنوز العلمية في التراث الإسلامي كثيرة ومتنوعة، فيها تعاليم ودعوات إلى الكيفية الصحيحة لبناء شخصية الإنسان وتنمية المجتمع، وكتاب نهج البلاغة للإمام علي (عليه السلام) يعد واحدًا من هذه الكنوز، إذا ما قلنا أهمها؛ ولكن ما يلفت النظر هو أنَّه نحن المسلمون قد أتجهنا بأبصارنا صوب التجارب الغربية، وتركتنا هذه المؤلفات القيمة وراء ظهورنا. وفي بحثنا هذا سوف نركز بشكل مباشر على ما جاء في فكر الإمام علي (عليه السلام) في الطريقة الصحيحة والاسلوب القويم لبناء الإنسان وتنمية المجتمع، وسيكون كتاب نهج البلاغة الذي يعد موسوعة علمية المصدر الرئيسي لهذا البحث، وهو بطبيعة الحال، كتاب زاخر بالمعلومات والأمثلة التي تبين فكر الإمام علي (عليه السلام)، والكيفية التي يمكن فيها صياغة نظرية علمية متكاملة لبناء شخصية الإنسان، وتنمية المجتمع، وعلى هذا المنوال فإننا سنتبع المنهج التاريخي العلمي القائم على استقراء النصوص وتحليلها، ومن ثم، وضع النتائج لهذا الاستقراء والتحليل بغية الوصول إلى الحلول، التي يمكن الرجوع إليها في التخطيط العلمي؛ لبناء حياة الإنسان المسلم وتنمية المجتمع الصالح، مجتمع الجيل الأول من المسلمين الذين استطاعوا أن يؤسسوا بفكرهم هذ المبادئ الوقيم إنسانية أخلاقية نحن بأمسِّ الحاجة لها في الوقت الحاضر.

Abstract

Islam considers human issues as an inter connected network, Including the relationship between man his god, man and himself, Man and other human and all life forms. Given that human is the higher purpose in Islamic presets. We note that Holy Quran verses and prophet Mohammed talks affirm this trend. Imam Ali (pbuh) emphasize this approach and urges its application life directly and influence its areas, dimensions and development, since it means 0rganization and Systemic planning, so the access to Imam Alis (pbuh) view on the Subject remains of considerable interest because the Islamic Societies cant plan intellectual system for the development of the human personality and Society development without reference to Islamic thought scholars including Imam Ali (pbuh).the researchers on Imam Ali biography and his word and deeds will realize that human Construct which is the cornerstone of society was apriority. He intended human resources development to build an integrated Society thus ensure benefit and well being for all the people. There is no doubt that the literature and valuable books in the Islamic heritage are many and varied. It includes teaching and invitations to build human personality and society development. Imam Ali (pbuh) book (Nahjul – Balagha) considers one of the best books. It is remarkable that, Muslims cared about western experiences and give up valuable literature and in this research we will focus directly on Imam Ali (pbuh) though to bulid human and community development in the right way. Nahjul – Balagha is the main Source of this research which is a highly

Reformative book and examples show Imam Ali (pbuh) thought and how to formulate a comprehensive scientific theory to build human personality and social development. Along these lines, we adopt a historical approach based on reading of the texts and analyses it society (the first generation Muslims who were able to form humanist principles and values we desperately need in the present).

لا يختلف إثنان على أهمية خطط التنمية البشرية في صقل شخصية الإنسان وبنائها وتأسيس البنية الحضارية للمجتمع، وصولًا إلى بناء الدولة على أسس من التنظيم والتخطيط التي تقود إلى تقدم حياة الإنسان والرفاهية، التي هي نتيجة مباشرة للتنمية، والشواهد المذكورة في المتون التاريخية تشير إلى أن التغيير والانتقال في أطوار التاريخ، والتقدم اللذين يصيبان المجتمع لا يأتيان من فراغ، إنما هما نتيجة مباشرة للتخطيط والتدريب والدراسة المتأنية التي نطلق عليها في التعبير المعاصر (التنمية)، وهذه التنمية بطبيعة الحال تحتاج كثيرًا من الجهد حتى يتم الوصول إلى الغاية المنشودة.

ومن هذا المنطلق فإن التنمية البشرية بدأت منذ أن بدأ الإنسان ينظم أمور حياته اليومية بمختلف متطلباتها الصحية والغذائية، وتوفير قوته لأيام مقبلة، وطريقة تنقله من مكان إلى آخر من أجل تأمين حاجته من الغذاء والمأوى، فضلًا عن تنظيم حياته مع الطبيعة، ثم بناء منظومة علاقات مع الآخر (الإنسان) الذي يشاركه الحياة في البقعة التي يعيش فيها وفي مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية هذه الجوانب مجتمعة تمثل التطور الإنساني لحياة البشرية، وهي كذلك تمثل، البداية المتواضعة لفكرة التنمية عند الإنسان، وبهذا التنظيم لسلوك الأفراد داخل المجتمع، استطاع الإنسان أن يرسم نمط حياتي منظم، ويطور أسلوب حياته تباعًا من جيل إلى آخر إلى أن تبلورت حياة الإنسانية على ما أصبحت عليه اليوم، وهذه بلا شك تحمل الملامح الأولى لفكرة التنمية عند الإنسان.

من المعلوم، أن الإسلام جاء من أجل بناء الإنسان وتنظيم المجتمع

وصولًا إلى تحقيق أهداف اجتماعية، والحفاظ على بنية الأخلاق على أساس من التوازن بين ما هو روحي ومادي، بغية توفير الأمن مع التهذيب الاجتماعي القائم على الالتزام بتعاليم الإسلام وآدابه وقيمه، في معادلة متكافئة بين الحاجات الروحية والاجتماعية من أجل تحقيق العدالة والسعادة والرفاهية لأبناء المجتمع، وكل ذلك من أجل التعايش السلمي.

ينظر الإسلام إلى قضايا الإنسان بوصفها شبكة مترابطة لا انفصام لها، ومن ذلك علاقة الإنسان بربه وعلاقته بنفسه وعلاقته بأخيه الإنسان، وبكل أشكال الحياة الأخرى، ولما كان الإنسان هدفًا أسمى في تعاليم الإسلام نلحظ أن آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) تؤكد على هذا المنحنى، والإمام علي (عليه السلام) وراث الدوحة المحمدية ما انفك يؤكد هذا المنهج ويحث على تطبيقه قولًا وفعلًا.

والتنمية البشرية في الإسلام مسألة تمس الحياة بشكل مباشر، وتؤثر في مجالاتها وأبعادها وتطورها، لأنها تعني التنظيم والتخطيط المبرمج، لذا أصبح الاطلاع على رؤية الإمام علي (عليه السلام) في هذا الموضوع يشكل أهمية بالغة وملحة، لأن المجتمعات الإسلامية لا تستطيع التخطيط لبناء منظومة فكرية حول بناء شخصية الإنسان الفعال المؤثر، وتنمية المجتمع على أسس من الأخلاق الفاضلة، دون الرجوع إلى أعلام الفكر الإسلامي ومنهم الإمام علي (عليه السلام).

إن المتتبع لسيرة الإمام علي (عليه السلام) وأقواله وأفعاله سيدرك بسهولة أن بناء الإنسان الذي هو حجر الأساس في تكوين المجتمع كان من

أولويات اهتماماته، وكان (عليه السلام) يبغي من وراء ذلك تنمية الموارد البشرية من أجل بناء مجتمع متكامل كي يعم النفع والخير للناس جميعًا.

ومن استقراء النصوص والتوصيات التي صدرت عن الإمام علي (عليه السلام) لا سيما في كتاب نهج البلاغة نجد أن الإمام عليًا (عليه السلام) قد تناول وفي مناسبات عديدة، بصورة مباشرة أو عبر التضمين إلى مسألة بناء الشخصية الإنسانية الصالحة الفاعلة في المجتمع، وهذا بطبيعة الحال يعني، فيما يعني، تطور المجتمع بأسره، واللافت للنظر هو أن الإمام عليًا (عليه السلام) أراد من مقولاته تشخيص مرض وتحديد علاجه في الوقت نفسه.

ومما لا شك فيه أن المؤلفات والكنوز العلمية في التراث الإسلامي كثيرة ومتنوعة، فيها تعاليم ودعوات إلى الكيفية الصحيحة لبناء شخصية الإنسان وتنمية المجتمع، وكتاب نهج البلاغة للإمام علي (عليه السلام) يعد واحد من هذه الكنوز، إذا ما قلنا أهمها، ولكن ما يلفت النظر أننا نحن المسلمون قد اتجهنا بإبصارنا صوب التجارب الغربية وتركتنا هذه المؤلفات القيمة وراء ظهورنا.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا، أن تنمية الإنسان وبناء شخصيته في المنظور الإسلامي، وهي من مفاهيم التنمية الرئيسة لم يتم تناولها بموضوعية وما زالت بحوثها دون المستوى الأكاديمي، ذلك أن الذين يكتبون في هذا الموضوع أغلبهم من رجالات الدين، وهؤلاء بطبيعة الحال، دائمًا ما ينطلقون من قاعدة أساسها العاطفة الدينية، علاوة على ذلك فإن معظم المعالجات والدراسات لهذه الإشكالية تمت في إطار الفكر الاقتصادي، والتاريخ الاقتصادي، كما أن إطارها المفاهيمي

النظري بحاجة إلى التحديد، ويسري هذا الأمر على آليات العمل التي ما زالت غير محددة في كثير من الدراسات التي تعرضت لموضوع التنمية في الإسلام.

وفي بحثنا هذا سوف نركز بشكل مباشر على ما جاء في فكر الإمام علي (عليه السلام) في الطريقة والأسلوب الصحيح لبناء الإنسان وتنمية المجتمع، وسيكون كتاب نهج البلاغة الذي يعد موسوعة علمية المصدر الرئيس لهذا البحث، وهو بطبيعة الحال، كتاب زاخر بالمعلومات والأمثلة التي تبين فكر الإمام علي (عليه السلام) والكيفية التي يمكن عبرها صياغة نظرية علمية متكاملة لبناء شخصية الإنسان، وتنمية المجتمع، وعلى هذا المنوال فإننا سنتبع المنهج التاريخي العلمي القائم على استقراء النصوص وتحليلها، ومن ثم، وضع النتائج لهذا الاستقراء بغية الوصول إلى الحلول، ونحن هنا نقتفي أثر الجيل الأول من المسلمين الذين استطاعوا أن يؤسسوا مجتمعًا صالحًا مبنيًا على أسس إنسانية، أخلاقية، نحن بأمس الحاجة لها في الوقت الحاضر.

ومن نافلة القول: إن التطرق بصورة تفصيلية إلى موضوع تنمية شخصية الإنسان وبناء المجتمع في فكر الإمام علي (عليه السلام) موضوع واسع جدًا يحتاج إلى مجلدات، لذلك آثرنا النمذجة والاختصار بغية تقديم صورة مبسطة لهذه الموضوع الهام، ومن ثم، دعوة المؤسسات العلمية في العراق لإعداد دراسة موسعة يمكن أن تكون دليلًا لدراسة خطط التنمية في المدارس والمعاهد والجامعات العراقية والإسلامية. من هذا المنطلق فإن بحث موضوع التنمية البشرية ضمن المنظور الإسلامي، يحتاج إلى كتب ومجلدات لتغطية

جميع فصوله، ولكي يكون موضوع بحثنا هذا يتوافق مع محاور الملتقى وتحديداته في عدد الصفحات لكل بحث، لذا فقد آثرنا أن تكون هذه المداخلة التعرض فقط إلى فكرة تنمية الإنسان وبناء شخصيته، ومن ثم تنمية قدراته الفكرية والأخلاقية والإنسانية في فكر الإمام علي (عليه السلام)، التي عن طريقها يتم تطوير المجتمع، ونحن لا نريد الغوص في التفاصيل السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تدخل ضمن مفهوم التنمية البشرية بشكل عام، بقدر ما نريد صياغة رؤية عامة عن مفهوم التنمية البشرية ومتطلباتها وأسسها على وفق المنظور الإسلامي ورؤية الإمام علي (عليه السلام).

وعلى الرغم من إدراكنا أن هذا البحث قد لا يخلو من نواقص وهنات، شأنه شأن أي عمل أو جهد فكري يقوم به الإنسان، إلا أننا نأمل أن يكون قد ساهم ولو بجزء يسير في الكشف عن موضوع التنمية البشرية وبناء المجتمع في فكر الإمام علي (عليه السلام).

لقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه على ثلاث مباحث سبقتها مقدمة وانتهى البحث بخاتمة، تضمنت المقدمة تمهيد للموضوع وفيه إشارة إلى أهمية موضوع التنمية وبناء المجتمع، وتطرقنا فيها إلى التنمية في المنظور الإسلامي وفي فكر الإمام علي (عليه السلام) وبينا أن المنظومة الفكرية الإسلامية كان جل أهدافها وغاياتها تنمية روح الإنسان وبناء شخصيته وصولًا إلى بناء المجتمع الصالح، الذي هو نتيجة حتمية لبناء الإنسان الملتزم الصادق الذي يحب الخير للإنسانية جمعاء.

تضمن المبحث الأول الذي حمل عنوان تنمية شخصية الإنسان وبناء المجتمع في المنظور الإسلامي

عرجنا فيه على الدعوات التي أطلقها الإسلام ممثلًا القرآن الكريم وأحاديث الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأقوال الإمام علي (عليه السلام) فضلًا عن التنظيرات التي وضعها الفقهاء والمجتهدون التي تخص موضوع التنمية البشرية.

والمبحث الثاني يسلط الضوء على بناء شخصية الإنسان في فكر الإمام علي (عليه السلام) هذا الإمام الزاهد العابد الحليم الرحيم الذي كانت أقواله وأحاديثه تفيض محبة ورحمة للناس جميعًا، وهي إذ ما درست على وفق منهج النبوة نراها استكمالًا وتوكيدًا لأقوال وأحاديث الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

وجاء المبحث الثالث لدراسة موضوع تطوير المجتمع في فكر الإمام علي (عليه السلام) وفيه بيان لأهمية تطوير المجتمع الإسلامي ومن ثم بنائه على وفق المنهج الذي يكفل الأمان والسعادة والرفاهية لجميع أفراده، من دون النظر إلى لونه أو جنسه أو دينه، وهذه سجية نادرة تضاف إلى فضائل الإمام علي (عليه السلام).

أما الخاتمة فقد تضمنت أهم النتائج والاستنتاجات التي توصلنا إليها، فضلًا عن عدد من التوصيات التي أشرنا إليها ضمنيًا في الخاتمة.

المبحث الأول:

التنمية وبناء الإنسان في المنظور الإسلامي

مما يؤشر أهمية التنمية في الفكر الإسلامي، هو ما تعرض له القرآن الكريم والسنة النبوية والمذاهب الفقهية على اختلاف توجهاتها، من دعوة إلى بناء شخصية الإنسان المثابر الصادق العامل المخلص العادل، الذي يضحي في سبيل الآخرين، والحريص على التزود بالعلم والمعرفة والتخطيط للمستقبل وعدم إغفال الدار الآخرة بعد أن يأخذ نصيبه في

الدنيا إلى آخر شبر في الحلال، فلا رهبانية في الإسلام بحجة الزهد والورع ذلك أن الإسلام يدعو أتباعه إلى أن يعيشوا حياتهم الدنيا بما فيه الخير والعمل أجل الآخرة، لأن الإسلام دين الوسطية، فلا ترك للدنيا على حساب الآخرة، ولا إيغال في الماديات بحيث يكون الإنسان عبدًا للدرهم والدينار. كذلك نفهم التنمية البشرية في الإسلام أنها الاستغلال الأمثل للثروات والاعتدال في استخدام الموارد المتاحة وعدم استنزافها في أعمال لا تتفق وخير البشرية، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾[1].

أما أئمة المسلمين ومفكروهم فقد اعتنوا وعلى مر العصور في إبراز النواحي التنموية والتنظيمية في الإسلام، لأن التنظيم هو جوهر التنمية وحجر الأساس في بنائها، وعلى هذا فقد كانت عنايتهم بها تسير جنبًا إلى جنب مع عنايتهم بالعبادات وفقهها، يدلنا على ذلك ما تركوا لنا من تراث ضخم في التنظيمات والتشريعات تزخر بالتفرد والأصالة والتقدم الحضاري والعلمي. وعلى هذا الأمر، فإن الدراسة التاريخية لموضوع التنمية البشرية في المنظور الإسلامي تؤسس إطارًا مرجعيًا يمكن عبره أن نفهم على نحوٍ أفضل الأصول الفكرية للتنمية، ومن ثم تعميمه على الواقع والاستفادة منه في سبيل تنمية شخصية الإنسان وبنائها، والنهوض بالمجتمع وبنائه على وفق المنظور الإسلامي.

إن التنمية البشرية في الإسلام، مسألة تمس الحياة بشكل مباشر وتؤثر في مجالاتها وأبعادها وتطورها، لأنها تعني التنظيم والتخطيط

المبرمج للحاضر والمستقبل، لذا أصبح الاطلاع على رؤية الإسلام في هذا الموضوع يشكل أهمية بالغة، لأن المجتمعات الإسلامية لا تستطيع التخطيط لبناء منظومة أفكارها حول التنمية من دون الرجوع إلى تعاليم الإسلام لأنها تعد الخلفية المرجعية الفكرية لهذه المجتمعات، ولا غرور في ذلك، إذ إن شريعة الإسلام وتعاليمه، كما هو معروف تصلح لكل زمان ومكان، لأن القرآن الكريم دستور المسلمين كتاب حي ومتجدد مع تطور الحياة وأن الفكر الإسلامي يقدم الحلول للمشكلات التي تواجه المجتمع من جميع الجوانب، ويقدم معالجات موضوعية واقعية صادقة، تضع الحلول للمشكلات التي تواجه أفراد المجتمع، ولاسيما في موضوع التنمية البشرية، وحيث الهدف العام لهذه المعالجات هو الأخذ بيد الإنسان إلى شواطئ الأمان الذي يتمثل في تحقيق الفلاح في الدنيا والآخرة.

والتنمية البشرية في الإسلام هدفها بناء الإنسان السوي، الناضج، المبدع، والمنتج من أجل عمارة الأرض كي يحقق الغرض الذي خلقه الله من أجله وهو إعمار الأرض وخلافته عليها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٢]، وعلى هذا المنوال فإن الإنسان مكلف تكليفًا شرعيًا بعمارة الأرض، فلم يخلق الإنسان للعبث أو لمجرد الأكل والشرب كالدواب الأخرى على سطح الأرض، بل خلق لتنفيذ واجب أعده الله من أجله يتمثل في عبادة الله وتنمية الحياة وتطويرها بمختلف جوانبها في الأرض، قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[٣].

ومن هذا المنطلق ذهب إبراهيم

العسل إلى تأكيد القول: «إن التنمية المتكاملة والشاملة لا يمكن تصورها إلا في مجتمع إسلامي، فأخطاء الحضارة الغربية، والمأزق الأخلاقي الذي تتخبط فيه، والروح العدوانية التي تسيطر على أذهان القادة المخططين، لا تعالج إلا بمبادئ ترسم صراطًا مستقيمًا للفرد والمجتمع، يوصلها إلى الكمال في شتى الميادين»[٤].

والواجب على المستخلف أن يعمر وينمي ما أستخلف عليه، لذا عليه أن يستفيد مما سخره الله له، وعندما يتحدث القرآن الكريم عن تسخير السماوات والأرض وما فيها لخدمة الإنسان، فإنه يستحثه على العمل والتنمية والبناء من أجل قطف ثمار هذا التسخير[٥]، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[٦]، أي تعلموا يا مخاطبين أن الله سخر لكم ما في السموات من الشمس والقمر وما في الأرض من أنهار وكنوز وثروات لتنتفعوا بها[٧].

من المعلوم أن التنمية الشاملة، والبشرية من ضمنها، تهدف بالدرجة الأولى إلى توفير سبل العيش الرغيد والرفاهية بما تحويه من معانٍ مختلفة لأبناء المجتمع، أي مجتمع، في الحاضر والمستقبل، والحفاظ على البيئة وصيانتها، وكذلك حفظ نظام دعم الحياة في مختلف جوانبها[٨]، ومع ذلك تبقى تنمية شخصية الإنسان وبنائها هو جوهر التنمية وهدفها الرئيس في الفكر الإسلامي، عمومًا، وفي فكر الإمام علي (عليه السلام) على وجه الخصوص، هذا، ناهيك أنه من المستحيل إغفال حقيقة جوهرية ومهمة، وهي أن التنمية ليست مشكلة منفصلة عن جذرها التاريخي، إنما تكمن جذورها في قيم

كل من الفرد والمجتمع وأخلاقياته وثقافته الممتدة عبر التاريخ، بما يحويه من عادات وتقاليد لها امتداد زمني يشكل التاريخ بعده الأساس.

والتنمية البشرية في الإسلام، تتجسد في نظرة الإسلام إلى الحياة الإنسانية على أساس أن المجتمع يتكون من أفراد لهم صفاتهم الفردية وعلاقاتهم الاجتماعية، لذلك كانت عناية الفكر الإسلامي التنموي بكل المصالح الفردية والجماعية على وفق نسق خاص يجمع بينهما، ويحرص عليهما ما دام ذلك ممكنًا، إلا إذا تعارضتا، فتقدم المصالح الجماعية أو العامة لأنها أولى بالاهتمام والرعاية[٩]، وهذا يعد من صلب موضوع التنمية البشرية.

وإذا كان صحيحًا أن تحليل الماضي يقدم لنا مفاتيح الحاضر كما نقل عن (كارل ماركس)[١٠]، فإن الحاضر العربي الإسلامي بما يحويه من رؤى وأفكار في التنمية لا يمكن فهمه من دون الرجوع إلى الماضي بتجلياته الفكرية التي تخص موضوع التنمية البشرية.

إن المعاني الآنفة الذكر، قد أنارت السبيل للمباحث التي تألفت منها هذه الدراسة، فأولت عناية لمفهوم التنمية البشرية، ومتطلباتها وأسسها في المنظور الإسلامي، ومدى ارتباط هذه المعاني برسالة الإسلام، وما جاءت به من مبادئ وقيم سامية، وأسست نظم اجتماعية وسياسية، كان من نتائجها التاريخية الواضحة بناء الإنسان في المجتمع الإسلامي، بناءً نفسيًا وعاطفيًا حتى يكون عنصرًا فعالًا في تنمية الحياة في مختلف مجالاتها.

والمسلمون اليوم مطالبون بإعادة عزهم وإحياء مجدهم وبعث تراثهم ووصل حاضرهم بماضيهم ليستمدوا منه الهدى والرشاد دون التعصب

والانغلاق، وصولًا إلى بناء حاضر منفتح على الجديد، وبناء شخصية الإنسان الذي يؤمن أن الحياة هي عملية تواصل بين القديم والجديد، ولا يمكن بأي حال بناء تجربة إنسانية ناجحة من دون المزاوجة بين الماضي والحاضر في استنباط البرامج والأفكار التي تدفع بعملية التنمية إلى الأمام.

إن المؤلفات والكنوز العلمية في التراث الإسلامي كثيرة ومتنوعة، وهي على كثرتها وتنوعها فيها ملامح وإشارات تؤكد بناء شخصية الإنسان وتنميتها ضمن مفهوم التنمية البشرية، ولكن ما يلفت النظر أن تلك المؤلفات والكنوز لازالت تنتظر الأيادي التي تمتد إليها من أجل سبر أغوارها، لأن ثمرات جهود أولئك العلماء مبعثرة في دور الكتب ومراكز حفظ المخطوطات، ولا شك أننا اليوم بحاجة لإعادة دراستها واستخلاص مضامينها وما تحويه من الرؤى والأفكار العلمية والاجتماعية والسياسية مما يصب قسمًا منها في موضوع التنمية.

من هنا جاء هذا البحث في محاولة لتتبع المعطيات التاريخية لموضوع التنمية البشرية في المنظور الإسلامي على وجه العموم وفي فكر الإمام علي (عليه السلام) على وجه الخصوص من أجل معرفة أبعادها التاريخية وتأصيلها، والوقوف على التجارب السابقة في الفكر الإسلامي، وصولًا إلى الافادة من هذه التجارب في بناء منظومة فكرية للتنمية البشرية في العالم العربي الإسلامي، تأكيدًا للمقولة التي تؤكد «أن التاريخ موضوع حي يقوم بدور بليغ في الثقافة والتكوين الاجتماعي والخلقي، وله أثر في فهم الأوضاع القائمة وفي تقدير الاتجاهات والتطورات المقبلة»[11].

وهنا يجب أن ننوه إننا عندما

نكتب عن موضوع التنمية البشرية في الفكر الإسلامي، فإن هذا لا يعني أننا نعيش عقلية الماضي، التي ربما لا تتوافق مع موضوع التنمية، التي تعني فيما تعني، النمو والتطور والتقدم إلى الأمام، أو في هذا تراجع إلى الوراء لعجزنا عن مواجهة الحاضر بكل مشاكله وأزماته، هذا الواقع الذي أثبتت التجارب أن الإنسان دائما ما يتوق إلى التطور والتقدم والتغيير في مستويات حياته المختلفة.

إن موضوع التنمية البشرية في الفكر الإسلامي، بصورة عامة، واسع ومتداخل وتتفرع عنه موضوعات كثيرة، بل أننا لا نغالي إذ قلنا، إن جل اهتمام الفكر الإسلامي متمثلًا بالأصول التي اشتقت التشريعات منها بالقرآن الكريم وأحاديث الرسول محمد (صلى الله عليه وآله)، وأقوال الإمام علي (عليه السلام) وأفعاله وأطروحات فقهاء المسلمين ومشرعيهم، وهي في مجملها تنصب بالدرجة الأولى نحو تنمية الجوانب الإنسانية في شخصية الإنسان، وبنائها بناءً يتجه صوب إعمار الأرض وتوفير الحياة الرغيدة للبشرية جمعاء من دون النظر إلى جنسهم أو لونهم أو عرقهم، وهذا يرجح الرأي القائل، إن الإسلام جاء من أجل إسعاد البشرية، بل جعل سعادة الإنسان هي الغاية القصوى لتعاليم الشريعة الإسلامية.

المبحث الثاني:

بناء شخصية الإنسان في فكر الإمام علي (عليه السلام).

من المعلوم، أن الإسلام جاء من أجل بناء الإنسان وتنظيم المجتمع وصولًا إلى تحقيق أهداف اجتماعية، والحفاظ على بنية الأخلاق على أساس من التوازن بين ما هو روحي ومادي، بغية توفير الأمن مع التهذيب الاجتماعي القائم على

الالتزام بتعاليم الإسلام وآدابه وقيمه، في معادلة متكافئة بين الحاجات الروحية والاجتماعية من أجل تحقيق العدالة والسعادة والرفاهية لأبناء المجتمع، وكل ذلك من أجل بناء شخصية الإنسان وتطوير المجتمع.

إن جميع القيم والإمكانات الفكرية التي اتصف بها الإمام علي (عليه السلام) لم تأتِ من فراغ، فقد كان (عليه السلام) وارث الدوحة المحمدية، وإن عناية الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) للإمام علي (عليه السلام) في بواكير حياته هو السبب في نضوج الشخصية العلمية الفكرية للإمام علي (عليه السلام)، وهكذا اتسعت علومه لتصقل موهبته مع تقادم الزمن، فضلًا عن ذلك فإن تعمقه في دراسة القرآن الكريم وعلومه، كان سببًا آخر لبناء منظومته الفكرية، وعلى هذا فإن الإمام علي (عليه السلام) قد تتلمذ على يد الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وورث أخلاقه وأسلوبه في النظر إلى الحياة، وجرى الميراث في قلبه وعقله سواء بسواء، وعكف على دراسة القرآن الكريم دراسة المتبصر الحكيم[١٢].

إن رسوخ مبادئ الإسلام في شخصية الإمام علي (عليه السلام) لم تأتِ من فراغ وإنما كان يستلهمها من الرسول محمد (صلى الله عليه وآله)، فقد عاش في كنفه منذ صباه، وكانت الروح الإنسانية طاغية على فكر الإمام (عليه السلام)، فكان متحررًا ومتوسعًا في اكتساب العلوم «فكان في كل مفهم من مفاهيمه، وفي كل معارفه وحكمه، وفي كل عمل من أعماله، ومنطق من أفكاره تقدميًا واقعيًا يؤمن بالإنسان على صعيد الإنسانية العام حيث لا حدود جغرافية، ولا موانع قومية، ولا نزعة ضيقة عقائدية فهو يؤمن بالإنسان ويحيطه بكل ما يسعده»[١٣].

يركز الإمام علي (عليه السلام) في بناء الإنسان على القيم الروحية التي

مبتدأها الإيمان بالله (سبحانه وتعالى) لأن هذا الإيمان يقود إلى الفضائل، فالإنسان المؤمن يخاف الله في حركاته وسكناته، لذلك نرى الإمام علي (عليه السلام) يركز على مسألة مهمة وهي خلق العالم وإنشاؤه يقول الإمام علي (عليه السلام): «أَنْشَأَ اَلْخَلْقَ إِنْشَاءً، وَابْتَدَأَهُ اِبْتِدَاءً، بِلاَ رَوِيَّةٍ أَجَالَهَا وَلاَ تَجْرِبَةٍ اِسْتَفَادَهَا، وَلاَ حَرَكَةٍ أَحْدَثَهَا، وَلاَ هَمَامَةِ نَفْسٍ اِضْطَرَبَ فِيهَا. أَحَالَ اَلْأَشْيَاءَ لِأَوْقَاتِهَا وَلَأَمَ بَيْنَ مُخْتَلِفَاتِهَا وَغَرَّزَ غَرَائِزَهَا، وَأَلْزَمَهَا أَشْبَاحَهَا عَالِماً بِهَا قَبْلَ اِبْتِدَائِهَا مُحِيطاً بِحُدُودِهَا وَانْتِهَائِهَا، عَارِفاً بِقَرَائِنِهَا وَ أَحْنَائِهَا»(١٤).

وهكذا نجد الإمام علي (عليه السلام) يركز في مقولاته على تهذيب الشخصية الإنسانية وذلك بالدعوة إلى القناعة والابتعاد عن الجشع في جمع الأموال، لأن الإنسان على وفق المنظور الإسلامي وجد على الأرض لعمارتها وليس لجمع المال واكتنازه، وأن المال والبنين حرث الدنيا، والعمل الصالح حرث الآخرة، «أما بعد فَإِنَّ اَلْأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ اَلسَّمَاءِ إِلَى اَلْأَرْضِ كَقَطْرِ اَلْمَطَرِ، كُلِّ نَفْسٍ مَا قَدَّرَ اَللهُ مِنْ زِيَادَةٍ وَ نُقْصَانٍ، فإن رأى أحدكم لأخيه غفيرةٌ في أهلٍ أو مالٍ أو نفسٍ، فلا تكون له فتنة، فإن المرء المسلم ما لم يغش دناءةً تظهر فيخشع لها إذا ذكرت، ويغرى بها لئام الناس... وكذلك المسلم البريء من الخيانة ينتظر من الله أحدى الحسنيين: إما داعي الله فما عند الله خيرٌ له، وإما رزق الله فإذا هو ذو أهل ومال»(١٥).

ولأن صلاح الرعية بصلاح الحاكم، بل إن الحاكم هو القدوة لأبناء المجتمع، ولهذا نجد الإمام علي (عليه السلام)، حريص على اختيار المسؤول في الدولة الإسلامية، لأن في صلاحه صلاح العامة، ومتى كان الحاكم لا

يتصف بصفات المسلم الصالح فإنه يعد عاملًا مساعدا لفساد رعيته، وعند ذلك بدلًا من أن يكون عاملاً للبناء يصبح أداة للهدم، ولهذا فإن بناء شخصية الفرد المسلم على وفق منظور الإمام علي (عليه السلام) يتوجب اختيار حاكم تتوافر به عدد من الصفات، وعلى هذا المنوال، يقول الإمام علي (عليه السلام): «ثُمَّ اخْتَرْ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ مِمَّنْ لَا تَضِيقُ بِهِ الْأُمُورُ وَلَا تُمَحِّكُهُ الْخُصُومُ، وَلَا يَتَمَادَى فِي الزَّلَّةِ، وَلَا يَحْصَرُ مِنَ الْفَيْءِ إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ، وَلَا تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ، وَلَا يَكْتَفِي بِأَدْنَى فَهْمٍ دُونَ أَقْصَاهُ، وَأَوْقَفَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ، وَآخَذَهُمْ بِالْحُجَجِ، وَأَقَلَّهُمْ تَبَرُّماً بِمُرَاجَعَةِ الْخَصْمِ، وَأَصْبَرَهُمْ عَلَى تَكَشُّفِ الْأُمُورِ، وَأَصْرَمَهُمْ عِنْدَ اتِّضَاحِ الْحُكْمِ، مِمَّنْ لَا يَزْدَهِيهِ إِطْرَاءٌ، وَلَا يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءٌ»(١٦).

إن تربية الفرد وبناء شخصيته في المجتمع الإنساني تتطلب توجيه على أن يقدم في دنياه ما يرضي الله كي يعمر الأرض ويفوز بنعيم الجنة، والإمام علي (عليه السلام) يحذر من فتنة الدنيا، لأن ذلك سيؤدي بالمحصلة النهائية إلى خسارة الدنيا والآخرة، «وَإِنَّ الْمَالَ وَالْبَنِينَ حَرْثُ الدُّنْيَا، وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ حَرْثُ الْآخِرَةِ، وَقَدْ يَجْمَعُهُمَا اللهُ تَعَالَى لِأَقْوَامٍ، فَاحْذَرُوا مِنَ اللهِ مَا حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ، وَاخْشَوْهُ خَشْيَةً لَيْسَتْ بِتَعْذِيرٍ، وَاعْمَلُوا فِي غَيْرِ رِيَاءٍ، وَلَا سُمْعَةٍ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعْمَلْ لِغَيْرِ اللهِ يَكِلْهُ اللهُ لِمَنْ عَمِلَ لَهُ»(١٧).

والدعوة إلى طاعة الله (سبحانه وتعالى) مقرونة بالعمل الصالح المنتج وهذه الفرضية من أهم القضايا التي ركز عليها الإمام علي (عليه السلام)، وعلى ما يبدو أن الإمام علي (عليه السلام) قد أدرك ذلك بفطرته وسجيته، لذلك يوجه الإنسان إلى الاستعداد ليوم الحساب بالعمل الصالح

بقولـه: «**ألا وإن اليـوم المضـمار، وغـدًا السباق، والسبقة الجنة، والغاية النار، أفـلا تائـب مـن خطيئتـه قبـل منيتـه، ألا عامـل لنفسـه قبـل يـوم بؤسـه، ألا وإنكـم في أيـام أمـل، ومـن ورائـه أجـل، فمـن عمـل في أيـام أملـه قبـل حضـور أجلـه فقـد نفعـه عملـه، ولم يـضره أجلـه، ومـن قـصر في أيـام أملـه قبـل حضـور أجلـه، فقـد خـسر عملـه، وضره أجلـه، ألا فاعملـوا في الرغبـة كـما تعملـون في الرهبـة**»[١٨].

ولكـي يعطـي الإمـام عـلي (عليه السلام) لموضـوع تنميـة الإنسـان وبنـاء شـخصيته بعـدا روحيًـا يقـرن ذلـك بخلـق الملائكـة كيـف أن الله سـبحانه وتعـالى بعـد أن خلـق السـموات والأرض جعـل فيهـما الملائكـة وهـم عـلى أربعـة أصنـاف وهـذا التقسـيم يـراد بـه تقريـب الصـورة للإنسـان كـي يـدرك بمشـاعره وأحاسيسـه عظمـة هـذا الخلـق، وضعـف الإنسـان وقلـة حيلتـه أمـام قـدرة الله (سـبحانه وتعـالى)، وهـي دعـوة للإنسـان للتواضـع وعـدم الغـرور، وهـذا يشـكل معنـىً مهـمًا لبنـاء شـخصية الإنسـان عـلى وفـق منظـور الإمـام عـلي (عليه السلام)، فالملائكـة عـلى عظمـة خلقهـم سـاجدون لله عابـدون لا يعصـون الله أمـرًا، «**فمنهـم سـاجدون لا يركعـون، وقسـم ركـوع لا ينتصبـون، وصافـون لا يتزايلـون، ومسـبحون لا يسـأمون، لا يغشـاهم نـوم العـين، ولا سـهو العقـول ولا فـترة الأبـدانِ، ولا غفلـة النسـيان، ومنهـم أمنـاء عـلى وحيـهِ، وألسـنة إلى رسـله، ومختلفـون بقضائـه وأمـره، ومنهـم الحفظـةُ لعبـادهِ، والسـدنة لأبـواب جنانـه**»[١٩].

ومـن أجـل بنـاء شـخصية إنسـانية تتمتـع بالوسـطية في حياتهـا فـإن الإمـام عـلي (عليـه السـلام) يحـذر النـاس مـن الاقبـال عـلى مباهـج الدنيـا، ونسـيان الآخـرة لأن في ذلـك مـا يجعـل الإنسـان

اشبه بالآلة الصماء غايته فقط الحصول على الملذات، وفي ذلك سحق لإنسانيته، يقول (عليه السلام): «ما أَصِف من دارٍ أولها عناءٌ، وآخرها فناءٌ، في حلالها حساب وفي حرامها عِقاب، من استغنى فيها فتن، ومن افتقر فيها حَزِنَ، ومن ساعاها فاتته، ومن قعد عنها واتته، ومن أبصر بها بصرته، ومن أبصر إليها أعمته»[٢٠].

إن بناء شخصية الإنسان في فكر الإمام علي (عليه السلام) تتطلب من أفراد المجتمع التحلي بالإيمان بالله، والصبر، وعدم التردد بالاعتراف بالخطأ إن وقع فيه أحد منهم، ويفهم من المقولة الآتية أن الإمام علي (عليه السلام) أراد بناء مجتمع الفضيلة الذي تسود فيه عظمة النفس وإباؤها يقول (عليه السلام) في هذا الشأن: «أوصيكم بخمس لو ضربتم بها آباط[٢١] الإبل لكانت لذلك أهلًا: لا يرجون أحدكم إلا ربه، ولا يخافن إلا ذنبه، ولا يستحين أحدكم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم، ولا يستحين أحد منكم إذا لم يعلم أن يتعلمهُ، وعليكم بالصبر فإن الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد، ولا خير في جسد لا رأس معه، ولا في إيمان لا صبر معه»[٢٢].

لقد أراد الإمام علي (عليه السلام) بناء شخصية الإنسان من جوانبها كافة، نجد ذلك من كلامه لسائل «من أهل الشام لما سأله: أكان مسيرنا إلى الشام بقضاء من الله وقدره؟»[٢٣]، فكان جواب الإمام علي (عليه السلام) هو محصلة لشخصية علمية فلسفية إنسانية، قد تمثل الإسلام فيها على أحسن صوره، يقول الإمام مخاطبًا السائل: «ويحك! لعلك ظننت قضاءً لازمًا وقدرًا حاتمًا؛ ولو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب، وسقط الوعد والوعيد، إن الله سبحانه وتعالى أمر عباده تخييرًا، ونهاهم

تحذيرًا، وكلف يسيرًا، ولم يكلف عسيرًا. وأعطى على القليل كثيرًا، ولم يعص مغلوبًا، ولم يطع مكرهًا، ولم يرسل الأنبياء لعبًا، ولم ينزل الكتاب للعباد عبثًا، ولا خلق السموات والأرضَ وما بينهما باطلًا»[٢٤].

المبحث الثالث:
تطوير المجتمع في فكر الإمام علي (عليه السلام).

من البديهي أن بناء شخصية الإنسان تنعكس بصورة أو أخرى على تطور المجتمع، لأن المجتمع- أي مجتمع- هو عبارة عن مجموعة من الأفراد بينهم روابط مشتركة، من هنا فإننا نرى أن التنظير الإسلامي يؤكد على بناء الإنسان روحيًا وماديًا، وهكذا نجد أن الإمام علي (عليه السلام) قد تطرق إلى مواضيع عدة هي في مجملها تعد أشبه بالأنظمة والقوانين التي تعمل على تطوير المجتمع.

إن من أهم الطرق الناجعة التي تسهم في تطوير المجتمع هي العدالة بين الرعية ومن هذا الجانب نرى أن الإمام علي (عليه السلام) يؤكد على هذه المسألة حتى مع أهل بيته يظهر ذلك من قوله (عليه السلام): «إن للولدِ على الوالدِ حقًا، وإن للوالدِ على الولدِ حقًا، فحق الوالدِ على الولدِ أن يُطيعه في كل شيءٍ، إلا في معصية الله سبحانهُ، وحق الولد على الوالد أن يحسنَ اسمهُ، ويحسن أدبه، ويعلمهُ القرآن»[٢٥].

وبناء المجتمع في فكر الإمام علي (عليه السلام) مقرون بالإيمان القاطع بالله (عز وجل) وهذا الإيمان لا يأتي من فراغ أو من إيمان ساذج إنما أصله النظر إلى نعمه على الإنسان والخلائق الأخرى يقول (عليه السلام): «الحمد لله الذي علا بحوله، ودنا بطوله، مانح كل غنيمةٍ وفضلٍ، وكاشف كل عظيمة وأزلٍ[٢٦]، أحمده على عواطف كرمه،

وسوابغ نعمه، وأؤمن به أولًا باديًا، واستهديه قريبًا هاديًا، واستعينه قاهرًا قادرًا، وأتوكل عليه كافيا ناصرًا»[٢٧]، مما لاشك فيه أن تحليل النص السابق يبين لنا أن الإمام علي (عليه السلام) يركز على نقطة جوهرية ألا وهي معرفة الله (عز وجل) عبر معرفة عظمته وهذه بلا شك ستقود الإنسان إلى التواضع الذي يقود المجتمع إلى التصافي والمحبة التي هي أساس بنائه وتطوره.

وتقوى الله من أهم الأسس التي يبنى عليها المجتمع لأن الأفراد الذين يكونون المجتمع متى خافوا الله (سبحانه وتعالى) فإنهم سوف يطيعوه ويلتزموا أوامره وينتهوا بنواهيه، وهذا الأمر كان من جل اهتمامات الإمام علي (عليه السلام) يتجسد في ذلك مقولاته وأفعاله، والتي فيها دعوات لأفراد المجتمع الإنساني «أُوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ضرب لكم الأمثال، ووقت لكم الآجال وألبسكم الرياش، وأرفغ لكم المعاش، وأحاط بكم الإحصاء، وأرصد لكم الجزاء، وآثركم بالنعم السوابغ، والرفد الروافغ، وأنذركم بالحجج البوالغ، فأحصاكم عددًا، ووظف لكم مددًا، في قرارِ خِبرةٍ، ودار عبرةٍ، أنتم مختبرون فيها، ومحاسبون عليها»[٢٨].

على وفق هذه المسارب الفكرية يتضح فكر الإمام علي (عليه السلام) في نظرية إسلامية إنسانية مجتمعية شاملة غايتها أن يبنى المجتمع على أسس من التقوى، وعند ذلك فإن الإمام علي (عليه السلام) لا يترك فرصة إلا ويحذر الناس من الغرور بالدنيا، يقول عليه السلام: «فإن الدنيا رنقٌ مشاربها، ردغ مشرعها، يونق منظرها، ويوبق مخبرها، غرورٌ حائلٌ، وضوءٌ آفلٌ، وظل زائل، وسناد مائل، حتى إذا أنس نافرها، واطمأن ناكرها،

قمصت بأرجلها، وقنصت بأحبلها، وأقصدت بأسهمها، وأعلقت المرء أوهاق المنية، قائدة له إلى ضنك المضجع، ووحشة المرجع، ومعاينة المحل، وثواب العمل، وكذلك الخلف بِعَقْبِ السلف»[٢٩].

يُذكّرُ الإمام علي (عليه السلام) الناس أهوال يوم القيامة، ونعتقد أن هذا التذكير الغاية منه بناء الإنسان الذي ستكون النتيجة الحتمية له بناء المجتمع الصالح وتطوره، لأن الإنسان إذا خاف من عقاب الله تجنب المعاصي واتجه بروحه وقلبه نحو الخير والصلاح، وبذلك يتجنب كل ما يسيء لأخيه الإنسان من قول أو فعل، والمعروف أن الإنسان إذا أمن من العقاب لم يتوانَ من عمل المعاصي، لذلك نرى الإمام علي (عليه السلام) دائما يذكر بأهوال يوم القيامة[٣٠] لعله يوقظ الناس من غفلتهم، «واعلموا أن مجازكم على الصراط ومزالقه دحضه، ...، فأتقوا الله عباد الله، تقية ذي لب شَغَلَ التفكير قلبه، وانصب الخوف بدنه، واسهر التهجد غرار نومه، وأظمأ الرجاء هواجر يومه، وظلف الزهد شهواته، وأوجف الذكر بلسانه، وقدم الخوف لأمانه، وتنكب المخالج عن وضح السبيل، وسلك أقصد المسالك إلى النهج المطلوب، ولم تفتله فاتلات الغرور، ولم تعم عليه مشتبهات الأمور، ظافرًا بفرحة البشرى، وراحة النعمى»[٣١].

ولأن بناء المجتمع وتطوره يتطلب من أبنائه التزام حدود الله وهذا لا يتحقق إلا عن طريق عدد من الصفات يتوجب على الإنسان أن يتصف بها، بل العمل بها، لذلك نجد الإمام علي (عليه السلام) يبين صفات المسلم الذي يأتمر بأوامر الله وينتهي بنواهيه «عباد الله، إن من أحب عباد الله إليه عبدًا أعانه الله على نفسه،

فاستشعر الحزن، وتجلبب الخوف، فزهر مصباح الهدى في قلبه، وأعد القِرى ليومه النازل به، فقرب على نفسه البعيد، وهون الشديد، نظرَ فأبصرَ، وذكر فاستكثر، وارتوى من عذب فُرَتٍ سهلت له موارده، فشرب نهلًا، وسلك سبيلًا جددًا، قد خلع سرابيل الشهوات، وتخلى من الهموم إلا همًا واحدًا انفرد به، فخرج من صفة العمى، ومشاركة أهل الهوى، وصار من مفاتيح أصحاب أبواب الهدى، ومغاليق أبواب الردى، قد أبصر طريقه، وسلك سبيله، وعرف مناره، وقطع عماره، واستمسك من العروة بأوثَقِها، ومن الجبال بأمتنها»[٣٢].

والإمام علي (عليه السلام) ينبه أفراد المجتمع إلى لزوم طاعة الله لأنها السبب المباشر لبناء المجتمع الصالح المتكامل، ولهذا فإن نظر الإنسان إلى عيوبه ومحاسبة نفسه هي السبيل لبناء شخصيته، ومن ثم بناء المجتمع الذي يخلو من الكراهية والحقد ويعيش أبناؤه في وئام وسلام، وفي هذا الصدد يقول (عليه السلام): «يا أيها الناس طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وطوبى لم لزم بيته وأكل قوته، واشتغل بطاعة ربه، وبكى على خطيئته، فكان من نفسه في شغل، والناس منه في راحة»[٣٣].

وبناء المجتمع على قواعد سليمة يبدأ من رأس الهرم (الحاكم) لذا نجد الإمام علي (عليه السلام) يخاطب الولاة وأولي الأمر من المسلمين بقوله: «والله لأن أبيت على حسكِ السعدان مسهدًا، أو في الأغلال مصفدًا، أحب إليه من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالمًا لبعض العباد، وغاصبًا لشيء من الحطام، وكيف أظلم أحدًا لنفس يسرع إلى البلى قفولها، ويطول في الثرى حلولها»[٣٤].

إن الطريقة المثلى لبناء المجتمع أن

يكون رئيسه أو قائده قدوة للرعية، وهذا منهج واضح بصورة جلية في فكر الإمام علي (عليه السلام)، كان يطبقه على نفسه، ويدعو ولاته إلى الأخذ به بل إنه يدعو إلى الاهتمام بالفقراء ورعايتهم، وعلى الخليفة أو الوالي أن يعيش حياتهم ويشاركهم في مأساتهم ويساعدهم عليها ويتضح ذلك عبر إنكاره على عثمان بن حنيف الأنصاري، وكان عامله على البصرة[٣٥]، وقد كتب الإمام علي (عليه السلام) إلى عامله يعاتبه على عدم الاهتمام بالرعية، وتخصيص الجيد من الطعام والشراب له، منبهًا إياه على أن الإمام علي (عليه السلام) يفضل حياة التقشف ومشاركة الرعية همومهم وأنه (عليه السلام) لو أراد أي صنف من أصناف الطعام واللباس لحصل عليه ولكن هيهات أن يفعل ذلك، يقول الإمام علي (عليه السلام): «**ولو شئت لأهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القز، ولكن هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعي إلى تخير الأطعمة**»[٣٦].

نستقرئ من هذا النص دروسًا تدعو إلى إشاعة روح الفضيلة والابتعاد عن الرذيلة، وهو رسالة لكل الحكام والملوك والأمراء وأصحاب الوظائف تصلح أن تكون خارطة طريق للمسلمين في الوقت الحاضر، سيما وأن الفساد الإداري، والهدر المالي أصبح صفة تلازم معظم الحكام المسلمين في الوقت الحاضر، وهو ايضًا- أي النص السابق- درس في النزاهة والحفاظ على حقوق الرعية كي يضعوها في مواضعها من دون تفضيل لأحد على أحد.

ومن نافلة القول أن نذكر، أن الإمام علي (عليه السلام) قد بين الأسباب التي تؤدي إلى تدهور المجتمع وانحلاله، وهو إذ يذكر به الأسباب

يدعو أفراد المجتمع إلى التمسك بالأخلاق الفاضلة والقيم النبيلة، ويحثهم على احترام الوعد والعهد وصدق الحديث؛ لأنها أسباب موجبة للتقوى والصلاح على مستوى الفرد والجماعة، ومن ثم بناء المجتمع الصالح وتطوره، وهذه الأسباب هي بلا شك من أبرز مقومات التنمية البشرية، وصولًا إلى تكوين منظومة من الأفكار الراجحة لصيرورة المجتمع الإنساني بأكمله نحو الفضيلة والتعايش السلمي القائم على الاحترام والمحبة بين أفراد المجتمع الإنساني، يقول الإمام علي (عليه السلام) في الأسباب التي تؤدي إلى تدهور المجتمع: «**أما بعد فإن الله لم يقصم ظهر جباري دهر قط إلا بعد تمهيل ورخاء، ولم يجبر عظم أحد من الأمم إلا بعد أزلٍ وبلاء: وفي دون ما استقبلتم من عتبٍ وما استدبرتم من خطبٍ معتبر وما كل ذي قلب بلبيب، ولا كل ذي سمعٍ بسميع: ولا كل ذي ناظر ببصير، فيا عجبًا، ومالي لا أعجبُ من خطا هذه الفرق على اختلاف حججها في دينها، لا يقتصون اثر نبي، ولا يقتدون بعمل وصي، ولا يؤمنون بغيب، ولا يعفون عن عيب**»[٣٧].

لقد امتزج في وعي الإمام علي (عليه السلام) تجربته السياسية في إدارة شؤون الدولة الإسلامية التي انتهت بظهور كثير من الفتن والأصوات النشاز التي تحاول تغيير روح الإسلام من دين العدالة والمساواة بين الناس على أخلاف ألوانهم وأعراقهم، إلى التفرقة على أساس العشيرة أو النسب، فوقف بوجه هذا التيار غير مبالٍ بالمصير الذي قد يواجهه، وهكذا انتهت حياته (عليه السلام) شهيدا للقيم الإنسانية العليا والمبادئ الإسلامية، فتحول الذاتي في شخصيته إلى الموضوعي، يقول (عليه السلام): «**اتقوا الله في**

عباده وبلاده، فإنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم، أطيعوا الله ولا تعصوه، وإذا رأيتم الخير فخذوا به، وإذا رأيتم الشر فأعرضوا عنه»[٣٨].

والمجتمع الصالح يبنى على أسس من المحبة والتآلف بين أفراد الرعية، لأن ذلك سيقود إلى بناء إنسان مثالي، والنتيجة تطوير المجتمع من جوانبه كافة، يقول الإمام علي (عليه السلام): «**ليتأس صغيركم بكبيركم، ولير أف كبيركم بصغيركم، ولا تكونوا كجفاة الجاهلية: لا في الدين يتفقهون، ولا عن الله يعقلون**»[٣٩].

الخاتمة

بعد أن أكملنا هذا البحث لا بد أن نضع خاتمة نلخص فيها أهم النتائج والتوصيات التي توصلنا إليها، وهي الآتي:

أولًا: إن رسوخ مبادئ الإسلام في شخصية الإمام علي (عليه السلام) لم تأتِ من فراغ وإنما كان يستلهمها من الرسول محمد (صلى الله عليه وآله)، فقد عاش في كنفه منذ صباه، وكانت الروح الإنسانية طاغية على فكر الإمام (عليه السلام)، فكان متحررًا ومتوسعًا في اكتساب العلوم، والروح الإسلامية ماثلة في كل مفهوم من مفاهيمه، وفي كل معارفه وحكمه، وفي كل عمل من أعماله، ومنطق من أفكاره، فكان تقدميًا واقعيًا يؤمن بالإنسان على صعيد الإنسانية العام حيث لا حدود جغرافية، ولا موانع قومية، ولا نزعة ضيقة عقائدية، فهو يؤمن بالإنسان ويحيطه بكل ما يسعده.

ثانيًا: المسلمون اليوم مطالبون بإعادة عزهم وإحياء مجدهم وبعث تراثهم ووصل حاضرهم بماضيهم ليستمدوا منه الهدى والرشاد من دون تعصب أو انغلاق، وصولًا إلى بناء حاضر منفتح على الجديد، وبناء شخصية الإنسان الذي يؤمن أن الحياة هي عملية تواصل بين

القديم والجديد، ولا يمكن بأي حال بناء تجربة إنسانية ناجحة من دون المزاوجة بين الماضي والحاضر في استنباط البرامج والأفكار التي تدفع بعملية التنمية إلى الأمام.

ثالثًا: يركز الإمام علي (عليه السلام) في بناء الإنسان على القيم الروحية والتي مبتدأها الإيمان بالله (سبحانه وتعالى) لأن هذا الإيمان يقود إلى الفضائل، فالإنسان المؤمن يخاف الله في حركاته وسكناته، ومعلوم أن التنمية البشرية في الإسلام هدفها بناء الإنسان السوي، الناضج، المبدع، والمنتج من أجل عمارة الأرض كي يحقق الغرض الذي خلقه الله من أجله ألا وهو خلافة الأرض.

رابعًا: لقد اتضح لنا أن الإمام علي (عليه السلام) كان في أقواله وأفعاله أنموذجًا حيًا للتعاليم الإسلامية، حتى أننا وجدنا إنسانًا تمثلت فيه الشريعة الإسلامية السمحاء، فهو يقول الكلام ويتبعه بالتطبيق، وهذا، على وفق المنظور السياسي لإدارة الدولة وسياسة الرعية يعد مثالًا يحتذى به للسياسة والإدارة الناجحة، من هنا كان فكر الإمام علي (عليه السلام) فكرًا واقعيًا، ولا يدخل ضمن النظريات الطوباوية، بل إنه يمكن تطبيقه على أفراد المجتمع بدون أي تعقيدات أو إجراءات روتينية.

خامسًا: إقامة مؤسسة دولية ترعاها منظمة المؤتمر الإسلامي، أو عدد من الدول الإسلامية، يكون مركزها في النجف الأشرف تختص بدراسة فكر الإمام علي (عليه السلام)، ومنطلقاته الإنسانية والأخلاقية، وكذلك رؤيته في مجال حقوق الإنسان، وهذا المؤسسة شاملة لجميع المذاهب الإسلامية، يتفرع منها عدد من المراكز البحثية، فضلًا عن المعاهد والكليات الإنسانية التي تدرس العلوم على وفق المنهج الوسطي للإسلام منهج الإمام علي

(عليه السلام) لكي تحقق التواصل والتقارب بين أبناء المسلمين جميعًا.

سادسًا: نستقرئ من فكر الإمام علي (عليه السلام) المبثوث في كتاب نهج البلاغة، دروسًا، وعبرًا، تدعو إلى إشاعة روح الفضيلة والابتعاد عن الرذيلة، وهذه الدروس والعبر تعد رسالة لكل الحكام والملوك والأمراء وأصحاب الوظائف تصلح أن تكون خارطة طريق للمسلمين في الوقت الحاضر، سيما وأن الفساد الإداري والهدر المالي أصبحت صفة تلازم معظم الحكام المسلمين في الوقت الحاضر.

الهوامش

١. سورة الإسراء، آية: ٢٩.

٢. سورة البقرة، آية: ٢٩.

٣. سورة هود، آية: ٥٩.

٤. إبراهيم العسل، التنمية في الإسلام، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، ط١، (بيروت/ ١٩٩٦م)، ص ٦٢.

٥. عباس هاشم علوي شهاب، معالم الفكر التنموي الإسلامي، دار العصمة، ط١، (البحرين/ ٢٠٠٧م)، ص ١٠٨.

٦. سورة لقمان، آية: ٢٠.

٧. السيوطي، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر، تفسير الجلالين (الدر المنثور)، دار إحياء التراث العربي، (بيروت/ د. ت)، ص٥٤٥.

٨. ف. دوجلاس موسشيت، مبادئ التنمية المستدامة، ترجمة: بهاء شاهين، الدار الدولية للاستشارات الثقافية، ط١، (القاهرة/ ٢٠٠٠م)، ص ١٣.

٩. إبراهيم العسل، التنمية في الإسلام، ص٦٥.

١٠. محمد عابد الجابري، العقل العربي، محدداته وتجلياته، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٤، (بيروت/ ٢٠٠٧م)، ٤٦.

١١. عبد العزيز الدوري، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، (بيروت/ ٢٠٠٥م)، ص١٥.

١٢. جورج جرداق: الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، دار ومكتبة صعصعة، ط١، (البحرين/ ٢٠٠٣م)، ج١،ص ٩٧.

١٣. مهدي حبوبة: ملامح من عبقرية الإمام علي، مطبعة الإرشاد، ط٢، (بغداد/ ١٩٦٧م)، ص١١٦.

١٤. نهج البلاغة، ج١، ٢٥- ٢٦.

١٥. نهج البلاغة، ج١، ص٦٩.

١٦. نهج البلاغة، ج١، ص٥٢٦.

١٧. نهج البلاغة، ج١، ص٦٩.

١٨. نهج البلاغة، ج١، ص٧٩.

١٩. نهج البلاغة، ج١، ص٢٨.

٢٠. نهج البلاغة، ج١، ص١٣٥.

٢١. الآباط جمع إبط، وضرب الآباط: كناية عن شد الرحال والمسير. (نهج البلاغة، ج١، ص٥٧٩، هامش١).

٢٢. نهج البلاغة، ج١، ص٥٧٩.

٢٣. نهج البلاغة، ج١، ص٥٧٨.

٢٤. نهج البلاغة، ج١، ص٥٧٨.

٢٥. نهج البلاغة، ج١، ص٦٤٦.

٢٦. الأزل: الضيق والشدة (نهج البلاغة، ج١، ص١٣٦، هامش ٣).

٢٧. نهج البلاغة، ج١، ص١٣٦.

٢٨. نهج البلاغة، ج١، ص١٣٧.

٢٩. نهج البلاغة، ج١، ١٣٧- ١٣٨.

٣٠. ينظر نهج البلاغة، ج١، ص٦٥، ١٣٠، ١٤٤، ٣٥٤.

٣١. نهج البلاغة، ج١، ص١٤٤.

٣٢. نهج البلاغة، ج١، ص١٥٢- ١٥٣.
٣٣. نهج البلاغة، ج١، ص٣١٧- ٣١٨.
٣٤. نهج البلاغة، ج١، ص ٤٢٥.
٣٥. ذكرى عواد ياسر العامري: الفكر الاقتصادي في نهج البلاغة، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية التربية، جامعة البصرة/ ٢٠٠٩م، ص١٤٤.
٣٦. نهج البلاغة، ج١، ص٥٢٩.
٣٧. نهج البلاغة، ج١، ص١٥٦- ١٥٧.
٣٨. نهج البلاغة، ج١، ص٣٠٢.
٣٩. نهج البلاغة، ج١، ص٢٩٩.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أولًا: المصادر.

١. السيوطي، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر: تفسير الجلالين (الدر المنثور) دار إحياء التراث العربي، ط١، (بيروت/ د.ت).

٢. نهج البلاغة: مجموعة خطب الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، شرح: الأستاذ محمد عبده، اشرف على تحقيقه وطبعه: عبد العزيز سيد الأهل، منشورات مكتبة التحرير، (د. ب/ د. ت).

ثانيًا: المراجع.

١. إبراهيم العسل: التنمية في الإسلام، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، ط١، (بيروت/ ١٩٩٦م).

٢. جورج جرداق: الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، دار ومكتبة صعصعة، ط١، (البحرين/ ٢٠٠٣م).

٣. عباس هاشم عليوي: معالم الفكر التنموي الإسلامي، دار العصمة، ط١، (البحرين/ ٢٠٠٧م).

٤. عبد العزيز الدوري: مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، (بيروت/ ٢٠٠٥م).

٥. ف. دوجلاس موسشيت: مبادئ التنمية المستدامة، ترجمة: بهاء شاهين، الدار الدولية للاستثمار الثقافي، ط١، القاهرة / ٢٠٠٠م).

٦. محمد عابد الجابري: العقل العربي، محدداته وتجلياته، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٤، (بيروت/ ٢٠٠٧م).

٧. مهدي حبوبه: ملامح من عبقرية الإمام علي، مطبعة الإرشاد، ط٢، (بغداد/ ١٩٦٧م).